

مَعْرِفَةُ
مَعْرِفَةُ

ALLAH
KNOWING
Knowingallah.com

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

نداءُ اللهِ تعالى للمؤمنينَ

النداء الخامس و العشرون

وجوب العدل في الشهادة



علي بن نايف الشحود

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

النداء الخامس و العشرون

وجوب العدل في الشهادة

قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ
شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن
يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن
تَعْدِلُوا وَإِن تَلُوتُوا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ

خَيْرًا } (سورة النساء ١٣٥)



الْعَدْلُ هُوَ نِظَامُ الْوُجُودِ ، لِذَلِكَ أَمَرَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنْ
 يَجْعَلُوا الْعِنَايَةَ بِإِقَامَةِ الْعَدْلِ ، عَلَى وَجْهِهِ الصَّحِيحِ ، صِفَةً
 ثَابِتَةً لَهُمْ ، رَاسِخَةً فِي نَفْسِهِمْ (كُونُوا قَوَّامِينَ
 بِالْقِسْطِ).

وَالْعَدْلُ كَمَا يَكُونُ فِي الْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ ، يَكُونُ أَيْضاً فِي
 الْعَمَلِ : كَالْقِيَامِ بِمَا يَجِبُ مِنَ الْعَدْلِ بَيْنَ الزُّوجَاتِ وَالْأَوْلَادِ ،
 فِي النَّفَقَةِ ، وَالْمُسَاوَاةِ بَيْنَهُمْ . وَيَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ
 بِأَنْ يَكُونُوا شُهَدَاءَ لِلَّهِ ، بِأَنْ يَتَحَرَّوْا الْحَقَّ الَّذِي يَرْضَاهُ اللَّهُ ،
 وَيَأْمُرُ بِهِ ، مِنْ غَيْرِ مُرَاعَاةٍ لِأَحَدٍ ، وَلَا مُحَابَاةٍ لَهُ ، وَلَوْ كَانَتْ
 الشَّهَادَةُ عَلَى نَفْسِ الْإِنْسَانِ ، بِأَنْ يُثَبَّتَ بِهَا الْحَقُّ عَلَيْهِ (
 وَمَنْ أَقْرَبُ عَلَى نَفْسِهِ بِحَقِّ فَقَدْ شَهِدَ عَلَيْهَا) أَوْ عَلَى وَالِدِي
 الْإِنْسَانِ ، أَوْ عَلَى أَقْرَبِ النَّاسِ إِلَيْهِ ، إِذْ لَيْسَ مِنْ بَرِّ الْوَالِدَيْنِ ،
 وَلَا مِنْ صَلَةِ الرَّحْمِ ، أَنْ يُعَانُوا عَلَى أَكْلِ مَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ حَقٌّ
 ، بَلِ الْبِرُّ وَالصَّلَةُ فِي الْحَقِّ وَالْمَعْرُوفِ .

وَيُوصِي اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِالتِّزَامِ الْعَدْلِ فِي الشَّهَادَةِ ،
 وَإِنْ كَانَ الْمَشْهُودُ عَلَيْهِ مِنَ الْأَقْرَابِ ، سِوَاءَ أَكَانَ فَقِيراً أَوْ
 غَنِيّاً ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْلَى بِهِ ، وَشَرَعَهُ أَحَقُّ بِأَنْ يُتَّبَعَ فِيهِ ،
 فَحَذَارِ أَنْ تُحَابُوا غَنِيّاً طَمَعاً فِي بَرِّهِ ، أَوْ خَوْفاً مِنْ سَطْوَتِهِ ،
 وَحَذَارِ أَنْ تُحَابُوا فَقِيراً عَطْفاً عَلَيْهِ ، أَوْ شَفَقَةً بِهِ فَمَرْضَاةُ
 الْمَشْهُودِ عَلَيْهِ لَيْسَتْ خَيْراً لَكُمْ وَلَا لَهُ مِنْ مَرْضَاةِ اللَّهِ ، فَلَا
 تَتَّبِعُوا الْهَوَى لِيَلَّا تَعْدِلُوا عَنِ الْحَقِّ إِلَى الْبَاطِلِ .





وَيَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ لَا يُحَرِّفُوا الشَّهَادَةَ وَلَا يَتَعَمَّدُوا الكَذِبَ فِيهَا ، وَأَنْ لَا يُعْرِضُوا عَنْ أَدَائِهَا إِذَا مَا دُعُوا إِلَى الشَّهَادَةِ ، وَيُخْبِرُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنَّهُ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ مِنْ تَصَرُّفَاتِ الْعِبَادِ ، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ قَصْدُهُمْ ، وَأَنَّهُ مُجَازِيهِمْ بِمَا يَعْمَلُونَ .

إنه نداء للذين آمنوا . نداء لهم بصفاتهم الجديدة . وهي صفاتهم الفريدة . صفاتهم التي بها أنشئوا نشأة أخرى؛ وولدوا ميلاداً آخر . ولدت أرواحهم ، وولدت تصوراتهم ، وولدت مبادئهم وأهدافهم ، وولدت معهم المهمة الجديدة التي تناط بهم ، والأمانة العظيمة التي وكلت إليهم . . أمانة القوامة على البشرية ، والحكم بين الناس بالعدل . . ومن ثم كان للنداء بهذه الصفة قيمته وكان له معناه : { **يا أيها الذين آمنوا . . .** } فبسبب من اتصافهم بهذه الصفة ، كان التكليف بهذه الأمانة الكبرى . وبسبب من اتصافهم بهذه الصفة كان التهيؤ والاستعداد للنهوض بهذه الأمانة الكبرى . .

وهي لمسة من لمسات المنهج التربوي الحكيم؛ تسبق التكليف الشاق الثقيل :

{ **كونوا قوامين بالقسط ، شهداء لله - ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين . إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما** }

..



إنها أمانة القيام بالقسط . . بالقسط على إطلاقه . في كل حال وفي كل مجال . القسط الذي يمنع البغي والظلم - في الأرض - والذي يكفل العدل - بين الناس - والذي يعطي كل ذي حق حقه من المسلمين وغير المسلمين . . ففي هذا الحق يتساوى عند الله المؤمنون وغير المؤمنين - كما رأينا في قصة اليهودي - ويتساوى الأقارب والأبعد . ويتساوى الأصدقاء والأعداء . ويتساوى الأغنياء والفقراء . .

{ كونوا قوامين بالقسط ، شهداء لله } ..

حسبة لله . وتعاملاً مباشراً معه . لا لحساب أحد من المشهود لهم أو عليهم . ولا لمصلحة فرد أو جماعة أو أمة . ولا تعاملاً مع الملابس المحيطة بأي عنصر من عناصر القضية . ولكن شهادة لله ، وتعاملاً مع الله . وتجرداً من كل ميل ، ومن كل هوى ، ومن كل مصلحة ، ومن كل اعتبار .

{ ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين } ..

وهنا يحاول المنهج تجنيد النفس في وجه ذاتها ، وفي وجه عواطفها ، تجاه ذاتها أولاً ، وتجاه الوالدين والأقربين ثانياً . . وهي محاولة شاقة . . أشق كثيراً من نطقها باللسان ، ومن إدراك معناها ومدلولها بالعقل . . إن



مزاولتها عملياً شيء آخر غير إدراكها عقلياً . ولا يعرف هذا الذي نقوله إلا من يحاول أن يزاول هذه التجربة واقعياً .. ولكن المنهج يجند النفس المؤمنة لهذه التجربة الشاقة . لأنها لا بد أن توجد . لا بد أن توجد في الأرض هذه القاعدة . ولا بد أن يقيمها ناس من البشر .

ثم هو يجند النفس كذلك في وجه مشاعرها الفطرية أو الاجتماعية؛ حين يكون المشهود له أو عليه فقيراً ، تشفق النفس من شهادة الحق ضده ، وتود أن تشهد له معاونة لضعفه . أو من يكون فقره مدعاة للشهادة ضده بحكم الرواسب النفسية الاجتماعية كما هو الحال في المجتمعات الجاهلية . وحين يكون المشهود له أو عليه غنياً؛ تقتضي الأوضاع الاجتماعية مجاملته . أو قد يثير غناه وتبطره النفس ضده فتحاول أن تشهد ضده! وهي مشاعر فطرية أو مقتضيات اجتماعية لها ثقلها حين يواجهها الناس في عالم الواقع . . والمنهج يجند النفس تجاهها كذلك كما جندها تجاه حب الذات ، وحب الوالدين والأقربين .

{ إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما } ..

وهي محاولة شاقة . . ولا نفتأ نكرر أنها محاولة شاقة . .



وأن الإسلام حين دفع نفوس المؤمنين - في عالم الواقع - إلى هذه الذروة ، التي تشهد بها تجارب الواقع التي وعائها التاريخ - كان ينشئ معجزة حقيقية في عالم البشرية . معجزة لا تقع إلا في ظل هذا المنهج الإلهي العظيم القويم .

{ فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا } ..

والهوى صنوف شتى ذكر منها بعضها .. حب الذات هوى . وحب الأهل والأقربين هوى . والعطف على الفقير - في موطن الشهادة والحكم - هوى . ومجاملة الغني هوى . ومضارته هوى . والتعصب للعشيرة والقبيلة والأمة والدولة والوطن - في موضع الشهادة والحكم - هوى . وكراهة الأعداء ولو كانوا أعداء الدين - في موطن الشهادة والحكم - هوى . . وأهواء شتى الصنوف والألوان . . كلها مما ينهى الله الذين آمنوا عن التأثر بها والعدول عن الحق والصدق تحت تأثيرها .

وأخيراً يجيء التهديد والإنذار والوعيد من تحريف الشهادة ، والإعراض عن هذا التوجيه فيها ..

{ وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً } ..



ويكفي أن يتذكر المؤمن أن الله خير بما يعمل ، ليستشعر
ماذا وراء هذا من تهديد خطير ، يرتجف له كيانه . . فقد
كان الله يخاطب بهذا القرآن المؤمنين!

حدث أن عبد الله بن رواحة - رضي الله عنه - لما بعثه رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - يقدر على أهل خيبر
محصولهم من الثمار والزروع لمقاسمتهم إياها مناصفة ،
حسب عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد فتح
خيبر . . أن حاول اليهود رشوته ليرفق بهم! فقال لهم : «
والله لقد جئكم من عند أحب الخلق إليّ . ولأنتم والله
أبغض إليّ من أعدادكم من القردة والخنازير . وما يحملني
حبي إياه وبغضي لكم ، على أن لا أعدل فيكم » . . فقالوا :
بهذا قامت السماوات والأرض!

لقد كان - رضي الله عنه - قد تخرج في مدرسة الرسول -
صلى الله عليه وسلم - على المنهج الرباني المنفرد .

وكان إنساناً من البشر خاض هذه التجربة الشاقة ونجح؛
وحقق - كما حقق الكثيرون غيره في ظل ذلك المنهج -
تلك المعجزة التي لا تقع إلا في ظل ذلك المنهج!

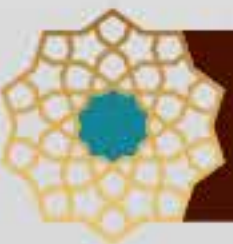
ولقد مضت القرون تلو القرون بعد تلك الفترة العجيبة؛
وحفلت المكتبات بكتب الفقه والقانون؛ وحفلت الحياة

بالتنظيمات والتشكيلات القضائية؛ وضبط الإجراءات والشكيلات التنظيمية . وامتلت الرؤوس بالكلام عن العدالة؛ وامتلت الأفواه بالحديث عن إجراءاتها الطويلة . . ووجدت نظريات وهيئات وتشكيلات منوعة لضبط هذا كله

ولكن التذوق الحقيقي لمعنى العدالة؛ والتحقق الواقعي لهذا المعنى في ضمائر الناس وفي حياتهم؛ والوصول إلى هذه الذروة السامقة الوضيئة . . لم يقع إلا في ذلك المنهج . . في تلك الفترة العجيبة في ذروة القمة . . وبعدها على مدار التاريخ في الأرض التي قام فيها الإسلام . وفي القلوب التي عمرت بهذه العقيدة . وفي الجماعات والأفراد التي تخرجت على هذا المنهج الفريد .

وهذه حقيقة ينبغي أن يتنبه إليها الذين يؤخذون بالتشكيلات القضائية التي جدت؛ وبالإجراءات القضائية التي استحدثت؛ وبالأنظمة والأوضاع القضائية التي نمت وتعقدت . فيحسبون أن هذا كله أقمن بتحقيق العدالة وأضمن مما كان في تلك الإجراءات البسيطة في تلك الفترة الفريدة! في تلك القرون البعيدة! وأن الأمور اليوم أضبط وأحكم مما كانت على صورتها البسيطة!

هذا وهم تنشئه الأشكال والأحجام في تصورات من لا





يدركون حقائق الأشياء والأوضاع . . إن المنهج الرباني وحده هو الذي يبلغ بالناس ما بلغ على بساطة الأشكال وبساطة الأوضاع . . وهو وحده الذي يمكن أن يبلغ بالناس هذا المستوى على ما استحدثت من الأشكال والأوضاع!

وليس معنى هذا أن نلغي التنظيمات القضائية الجديدة . ولكن معناه أن نعرف أن القيمة ليست للتنظيمات . ولكن للروح التي وراءها . أياً كان شكلها وحجمها وزمانها ومكانها . . والفضل للأفضل بغض النظر عن الزمان والمكان!!!





يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
نداءُ اللهِ تعالى للمؤمنينَ

النداء الخامس والعشرون

علي بن نايف الشحود